

(١٠)

دور النديم فى أثناء المعارك بين العربيين والإنجليز

لما أخذ عرابى فى إعداد خطوطه الدفاعية فى كفر الدوار طلب منه الخديو وقف كل التجهيزات الحربية والحضور إليه فى قصر رأس التين، وإلغاء الإدارة العسكرية وإعادة الإدارة المدنية فاستشار النديم فى الأمر فنصحه بعدم التوجه إلى الخديو برأس التين فرفض عرابى طلب الخديو واستمر فى استعداداته، وأخذ النديم فى تعبئة الشعور الوطنى فنظم أسلوب الدعاية إلى المعركة وضاعف جهده وتحمل المسؤولية كاملة فكان قديرا على اللعب بعواطف الناس وإشباع تطلعاتهم.

ونتيجة لتطورات الأحداث واتضح موقف الخديو المؤيد للإنجليز دعا عرابى إلى عقد جمعية عمومية من طوائف الشعب

كافة لعرض الموقف عليهم فاجتمع "عدد عظيم من سراة المدينة وعظمائها وعلمائها للمشاورة فى أمر الحرب" وانهقدت أولى جلسات الجمعية فى مساء ١٧/٧/٨٢ واتخذت قراراتها بالإجماع ، وكان أهمها الاستمرار فى قتال الإنجليز ومطالبة الخديو ومن معه من الوزراء بالعودة إلى القاهرة . ولما علم الخديو بذلك أصدر أمرا بعزل عرابى من منصبه وإعلان عصيانه ، فعقدت الجمعية اجتماعها الثانى فى ٢٢/٧/١٨٨٢ وبرز دور الندىم فى هذا الاجتماع حيث شنع بالخديو وطالب بالوقوف مع رجال الجهادية ، وفى هذا الاجتماع استطاع العرابيون تختيم الحاضرين على توقيف أوامر الخديو وما يصدر من نظارة الموجودين معه بالإسكندرية وعدم تنفيذها ، حيث إن الخديو خرج على قواعد الشرع والقانون .

وأرسل العرابيون إلى المديرىات ودواوين الحكومة منشورا بإعلان انضمام الخديو إلى الإنجليز وخلع طاعته لأنه باع البلاد لألد أعدائها ، والاسعداد للقتال وعدم تسليم البلاد لأحد وفيها ذوروح يتنفس .

كما أمر عرابى بسد ترعة المحمودية لقطع المياه عن الخديو وأعوانه بالإسكندرية .

وفى غمرة هذه الاسعدادات للحرب توجه الندىم إلى الأزهر

مشعلا حماسته لمناصرة الثورة حتى أفتى بعض المشايخ بتكفير الخديو لانحيازه إلى أعداء الوطن ثم أخذ يجوب مدن البلاد وقرأها لحفز همم الناس على مواجهة أعداء الوطن والدين ، فكان لخطابته دوى شديد فى النفوس حيث تناقلها الناس فيما بينهم واشتعلت قلوبهم بالحماسة للوطن والدين وتزاحموا على إعانة الجيش بما يلزمه ، وكان النديم ينشر أخبار التبرعات فى صحيفته ، كما تحمست الأمة المصرية على اختلاف مشاربها لقتال الإنجليز الطامعين فى البلاد فانضم الرجال إلى معسكرات التدريب تاركين عائلاتهم ومحللاتهم وأشغال مزروعاتهم ، وهرع الشيوخ إلى المساجد يدعون الله أن ينصر "عرابى" حامى البلاد .

وقد قامت "الطائف" بدورها فى الدعاية للعرايين تعادى من يعاديهم وتشجع من يواليهم ، كما لقبتم "عرابى" بحامى البلاد المصرية والمدافع عن الإسلام ، وتردد بين الناس هتاف "الله ينصرك يا عرابى" .

وقد حاول النديم فى دعايته للحرب تجنب الشقاق بين عنصرى الأمة ، فذكر أن الحرب بين المصريين والغزاة وليست بين مسلمين ومسيحيين حتى يقطع على الإنجليز طريق اتخاذ الدين وسيلة للتفرقة بين أبناء الوطن ، وساعد على ذلك أن بطريك الأقباط أعلن

أن الإنجليز خرجوا على تعاليم المسيحية السمحة التي تدعو إلى الإسلام، ومن ثم أصبح الإنجليز في نظر المصريين كفرة خارجين عن دينهم فوق أنهم غزاة مغتصبون، وبعد أن عبأ النديم الشعور الوطنى داخل البلاد لحق بعرابى فى مقر قيادة الجيش بمعسكر "كنج عثمان" حيث كان الجيش يتأهب لقتال الإنجليز فعمل مستشارا سياسيا له وتحمل عبء الدعاية كاملا .

ولما لم يتمكن الإنجليز من اقتحام استحكامات العرابيين فى كفر الدوار وجهوا قواتهم إلى قنال السويس مما اضطر العرابيين إلى جعل منطقة التل الكبير مركزا عموميا لقواتهم العسكرية .
انتقل النديم مع عرابى إلى الجبهة الشرقية فى التل الكبير يكتب أخبار الحرب فى صحيفته ، ويهاجم الخديو والاحتلال ، وينشر الدعايات المليئة بالمبالغات ضد الإنجليز مستثيرا همم الجنود ومحمسا لهم .

وقد استطاعت إنجلترا تغيير ميزان المعركة لا حربيا فقط بل وسياسيا أيضا ، إذ استطاعت نتيجة للمحادثات المكثفة بينها وبين الدولة العثمانية ونتيجة لجهود اللورد دوفرين مندوبها فى الآستانة-الضغط على السلطان حتى أصدر منشورا بعصيان عرابى مما قلب ميزان الحماسة الشعبية وأضع التأييد الإسلامى والعربى للثورة ، وكان له أسوأ الأثر فى النفوس .